

البشرى في مناقب
السيدة خديجة الكبرى
رضي الله عنها

بقلم

صاحب الفضيلة السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى

من علماء المسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

حافظ المسلمون - عبر القرون - علي الآثار النبوية و الاسلامية لكي تستلهم الاحيال المقبلة منها الدروس و العبر.

و جا دور الوهابية فهدموا القبور و القباب في عام 1343 = 1924 م معتقدين انها بدعة محرمة و استثنوا من هذا التحريم قبر النبي و قبته.

و لم يوافقهم علي هذا الراي فكريا جمهور المسلمين و عارضوهم عمليا باستمرارهم لزيارة المواقع المهذومة واستلهم ذكريات ابطال الاسلام و الآثار الاسلامية التاريخية. ومن هذه الاماكن

[2]

التي وفقني الله لزيارتها عام 1383 و رأيت طائفة كبيرة من الحجاج و خاصة المسلمين من تركيا يحافظون على زيارتها ما يأتي: 1. مولد النبي (ص) في شعب علي في محلة القشاشية في مكة المكرمة. 2. دار خديجة بنت خويلد زوجة النبي (ص) التي نصرت الاسلام باموالها حتى قيل: ما قام الاسلام الا بسيف علي و اموال خديجة. و تقع في سوق الصاغة المتفرع من سوق الطويل خلف المسعى. و كانت هذه الدار محبط الوحي و التنزيل و مولد

[3]

السيدة فاطمة الزهراء (ع). 3. مقبرة المعلاة الواقعة في محلة السليمانية و فيها مقبرة السيدة خديجة الكبرى و أبو طالب حامي الرسول و ناصره و جدي الرسول عبد مناف و عبد المطلب الذي يحتفظ التاريخ الاسلامي بمواقفه الجريئة و المفعمة بالايان مع اصحاب الفيل الذين قصدوا هدم الكعبة المشرفة فآخزاهم الله و انزل فيهم سورة الفيل. (ومع الاسف) الانبا الواصلة تفيد بان الحكومة السعودية قررت محو هذه الاثار بالمرّة من الخارطة متذرعة بحجة الزحام ايام

[4]

الحج و ضرورة توسعة المسجد الحرام. (و غريب) ان تتخذ هذه الذرائع لهدم الاثار النبوية فان من الممكن التوسعة من دون عرض هذه الاثار للهدم و الابادة. مع ان امنية كل حاج مسلم ان يتعرف علي الاثار النبوية و ليس في هدمها الا استهانة بقيمتها التاريخية و باهدافها الرسالية مع ان الامم تحتفظ بالاثار التي هي اقل شانا و اصاله. و انا لله وانا اليه راجعون. وبهذه المناسبة المؤلمة قدمت للطبع هذه الرسالة التي كتبها صاحب الفضيلة من

[5]

علما المسجد الحرام محمد بن شيخنا محدث الحجاز السيد محمد بن علوي الحسيني المالكي في مناقب السيدة خديجة الكبرى عسي ان تكون ذكرى و موعظة لمن يريد التعرف علي تاريخ الاسلام و يعتز بترائه الخالد. محمد حسين الحسيني الجلالى

[6]

مزارات السيدة خديجة و أبو طالب و جدي النبي صلى الله عليه وسلم عبد مناف و عبد المطلب في مقبرة المعلاة في مكة هدمها الوهابيون في سنة 1343 هجرية = 1924 م. دار السيدة خديجة التي كانت منزل النبي صلى الله عليه وسلم و مولد فاطمة الزهراء عليه السلام الواقعة في سوق الصاغة في مكة هدمتها الحكومة السعودية عام 1413 هـ.

[3]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي شرف هذا الوجود ببعثة أكرم نبي و أعز مولود * سيدنا و مولانا محمد النبي المقدس المحمود * ذي الشفاعة العظمى و الحوض المورود * عنصر الفضائل المشهود * و كريم الامحات و الآباء و الجدود * نخبه العالم * و سيد ولد آدم * من انتقل في الغرر الكريمة نوره * و أضاء الكون ميلاده و بعثته و ظهوره * و طلعت شمس الهداية و العرفان * بانفلاق صبحه على كل الآكوان * و الصلاة و السلام على سيد السادات * كامل الشرائل والصفات * ذي النور العميم * و القدر العظيم * و الصراط المستقيم * و الدين القويم * و الحسب الصميم * و المجد الفخيم * و على آله و صحابته * و أزواجه و ذريته * و تابعيه من أهل ملته * و خديجة التي تشرفت بعشرته

[4]

و صحبته * وفازت بخدمته * و شهدت يوم بعثته * و قامت بتأييده في دعوته * و مؤازرته و نصرته. أما بعد * فهذه نفحات نبوية * و فيوضات ربانية * جرى بها القلم في مناقب أم المؤمنين * و فضائل زوجة

سيد المرسلين * و شأئها التي هي من أحسن الشأئل * المقتبسة من أخلاق ذلك الانسان الكامل * سيد الأواخر و الأوائل * جمعها لكي تتعطر بها المجالس و النوادي * في الحواضر و البوادي * انتخبها من عيون الأخبار * و مجاميع الآثار * المودعة في السير و الأسفار * و ضمنتها من ذلك كل ما هو مقبول * عند الأئمة الحفاظ الفحول * من كل قول محمود * ليس بموضوع و لا مردود، و هذا أوان الشروع في المقصود، بعون الملك المعبود. فأقول هي سيدتنا خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدية*

[5]

تجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده قصى الذى جمع القبائل القرشية. و أمها فاطمة بنت زائدة بن الاصم من بنى عامر بن لؤي بن غالب * فأكرم بهذا النسب الطاهر الذى هو نسب أشرف الحبايب * وقد حفظها الله تعالى من أرجاس الجاهلية، فأحاط عرض هذه السيدة الزكية * و صانه من كل أذية و بلية * برعايته و عنايته الباهرة * و لذلك كانت تلقب بالسيدة الطاهرة * فما أجل هذه المنحة الفاخرة * و اشتهر تلقيبها بالكبرى * لعظم شأنها في المعاهد الأخرى * و هي بذلك أحق و أحرى. وقد ولدت رضى الله عنها قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بنحو خمس عشرة سنة * فنشأت في بيت طاهر طيب الأعراق * على أكمل السير المحموده و أحسن الأخلاق * فكانت رضى الله عنها متكاملة حسنا و عقلا * و جبالا و فضلا * حازمة رشيدة في جميع أمورها*

[6]

حسنة التدبير و التصرف في جميع شؤونها * ذات فراسة قوية * و همة عالية * لها نظر ثاقب * و معرفة دقيقة بالعواقب * أغناها الله تعالى بسعة النعم * و كثرة الخدم و الحشم * و من عليها ذو الجلال * بكثرة الأموال * فكانت تستأجر الرجال * ليتاجروا في ذلك بالحلل * فتضاربهم (1) عليه بشئ معلوم * و يستفيد بذلك الجميع على العموم * و ظهرت أسرار تلك الأخلاق المرضية * و الأوصاف الحسنة الزكية * فيما بلغه بين قومها في الجاهلية * من مكانة عالية * و رتبة سنية * و شهرة قوية * فهي الدرة الثمينة الطاهرة * الرزينة * دوحة المجد الطيبة الفروع * و شجرة الفرد اليانعة الأفراد و المجموع. * * * اللهم انشر نفحات الرضوان عليها و أمدنا

(1) المضاربة: هي اعطاء الرجل ماله لآخر يتجر فيه و له جزء من الربح

[7]

اللهم بالأسرار التي أودعتها لديها اللهم صل و سلم على زوجها الأمين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين. * * * و قد أراد الله تعالى لهذه السيدة الطاهرة * أن تجمع بين شرف الدنيا و عز الآخرة * فوصلت إليها أخبار سيد المرسلين * و أخذت تتعرف عليها بتدبر و تفكر و يقين * فرأت أنه المجمع على فضله المبين * و انه المشهود له بأنه التقي النقي الامين * و انه الصادق المصدق * و الكريم الذي لا يلحق و لا يسبق. فعلمت أن معاملة مثل هذا ناجحة * ومتاجرته ان شاء الله رابحة * فما كان منها الا أن بعثت إليه * و عرضت مشروعهما التجارى عليه * و هو أن يتجر لها في مالها * و تعطيه لعمالها. فقبل ذلك عليه الصلاة و السلام * وخرج

بتجارتها من البلد الحرام * قاصدا بلاد الشام * و هذه هي الرحلة الثانية و لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم سافر الى الشام الا في هاتين المرتين * في عامين مختلفين * كما ذكره بعض الحفاظ المرجوع إليهم * المعول على قولهم. و أرسلت معه ميسرة الغلام * و أوصته عليه و أمرته أن يكون قائما بخدمته حق القيام * فألقى الله محبة النبي في قلبه * حتى أخذت بعقله و لبه * و خدمه فأخلص خدمته * و صحبه فأحسن صحبته. و رأى بعينه شيئا من أسرارهم * و سمع بأذنه ما سمع من أخبارهم * و من ذلك ما حدثه به الراهب نسطورا * و هو حق ليس بخرافة و لا أسطورة * إذ قال - ذلك الراهب * وقد رأى أشرف الحباب * نزل تحت شجرة هناك * من هذا الذى يفوق بدر الأفلاك * فقال ميسرة: هذا رجل من الكرام * من أهل

البلد الحرام * فقال له الراهب و هو واثق مما يقول * ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي أو رسول (1) * ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة لا تفارقه ؟ * قال نعم قال هذا آخر نبى فهنيئا لمن يصدق * ثم في تلك الاثناء * وقع بين سيد الأنبياء * و رجل كان في تلك الأنحاء * خلاف في ثمن بعض المشتريات * فقال له الرجل احلف بالعزى و اللات * كما يجري بينهم في مثل تلك الحالات * فقال سيد السادات * و الله ما حلفت بهما * و انى لأمر فأعرض عنها * فقال الرجل القول قولك * و الرأي عندك * ثم قال لميسرة: هذا و الله نبي تشرفنا به في سوقنا، و انه لتجده أحبارنا منعوتا في كتبنا * و من ذلك انه كان يرى في كل تلك المدة القصيرة * سحابة تظله دون الجميع في وقت الظهيرة * و قيل فيما

(1) أي ما نزل تحتها هذه الساعة الا نبي و لم يرد انه ما نزل تحتها قط الا نبي. كذا أفاده بعض علماء السيرة

روى أنه كان يرى ملكين * يظللان سيد الكونين. * * * و لما أتم صلى الله عليه وسلم مهمته * و باع سلعته * رجع الى مكة و قد اكتسب خيرات كثيرة * و جاء بأر باح وفيرة * فسرت بذلك السيدة خديجة ايما سرور * و حمدت فعله المشكور * و نظرت إليه بعين الاكبار و الاحترام * و أكرمتها غاية الاكرام * و تأثرت بشخصيته كل التأثير * فأكنت له في نفسها عظيم التقدير * و زاد ذلك عندها بعد ما حدثها ميسرة بما شاهده من الآيات * و عجائب الاحوال و خوارق العادات. التي هي للنبوة دلائل واضحات * حدثها عن السحابة التي صحبتته في سفره فكانت نعم الصاحب * و عن كلام ذلك الراهب * و عن طاعة الابل و طي الأرض له * و التوفيق الذي لازمه في سفره كل الملازمة * و تلك الرمال و الحجارة التي لانت

تحت مواطئ قدميه * و كل ذلك وعاه بقلبه و رآه بعينه * و حدثها بما رآه من حسن سيرته * في خلقه و معاملته * مع ما سبق لها معرفته عنه من صدق حديثه * و عظيم أمانته * و كريم أخلاقه و ديانته * فأصبحت هذه الصفات و الأخلاق العلية * مثبتة متيقنة لديها جليلة * فأحست بعارض غريب * عن صورة و حقيقة ذلك الحبيب * و تحيرت من أمر نفسها * و أصبحت قلقة بين قلبها و عواطفها * فقد رفضت بالأمس القريب الكثير من الرجال * من ذوي الوجاهة و المال * و ردتهم خائبين متحسرين * لرفضها طلبهم المتين. * * * و لما أراد الله تعالى لها السعادة الأبدية * و الشرف و الفضل على نساء البرية * ترجح عندها أن لا تفوت هذه الفرصة الذهبية.

واستبانت خديجة أنه الكنز الذي حاولته و الكيمياء فاخترت لنفسها الزكي الأمين، سيد ولد آدم أجمعين *
 و من لاحت في وجهه علامات النبل و الجمال * و تكاملت فيه خصال الكمال و الجلال * و بدت عليه
 امارات السيادة * و ظهرت منه اشارات النجاة و القيادة * فما كان منها الا أن أرسلت إليه * و عرضت
 نفسها عليه * فخطبت الرسول الاعظم * و النبي الاكرم * صلى الله عليه و سلم * و قالت له: يا بن العم *
 اني قد رغبت فيك لقرابتك و شرفك * و سامي منزلتك و قدرك * و في رواية (1) انها أرسلت له نفيسة
 بنت أمية دسيسا إليه فقالت له: ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال: ما في يدي شئ * فقالت له: فان

(1) رواه الواقدي و هو الالباق و المناسب بحال المرأة و خصوصا كالسيدة خديجة.

كفيت و دعيت الى المال و الجمال و الكفاءة ؟ قال: و من ؟ قالت له خديجة فأجاب: وراثته خديجة و
 التقى و الزهد * فيه سجية و الحياء * و أتاها ان الغمامة و السرح * أظلمته منها أفياء * و أحاديث ان وعد
 رسول الله * بالبعث حان منه الوفاء * فدعته الى الزواج و ما أحسن * ما يبلغ المنى الاذكاء * * * * * و قد
 ألهم الله نبينا صلى الله عليه وسلم الموافقة * فكانت خطوة مباركة موفقة * فشاور أعمامه الكرام و أيده
 على ذلك الكلام * فتقدم حمزة فكلّم عمها و قيل أباه و الصحيح ان أباه خويلد قد مات قبل حرب الفجار
 * ثم حضر رؤساء قريش يتقدمهم

أبو طالب * فكان هو لسان حالهم المتكلم الخاطب * فقال: (الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم و زرع اسماعيل وضئى (١) معد و عنصر مضر و جعلنا حضنة بيته و سواس حرمه * و جعل لنا بيتا محجوجا و حرما آمنا * و جعلنا الحكم على الناس * ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به * فان كان في المال قل * فان المال ظل زائل * و أمر حائل * و محمد من قد عرفتم قرابته * و قد خطب خديجة بنت خويلد * و بذل لها من الصداق ما آجله و عاجله من مالى كذا، وهو الله بعد هذا له نبأ عظيم * و خطب جليل). ثم قام ورقة بن نوفل فقال: (الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت و فضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب و قادتها و أتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم و لا يرد أحد من

(1) أي أصل معد.

الناس فخرم و شرفكم و قد رغبتنا في الاتصال بجلكم فاشهدوا علي يا معشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعائة دينار) ثم سكت، فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشركك عمها، فقال عمها: اشهدوا يا معشر قريش اني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد، و شهد على ذلك صناديد قريش. * * * و قد جاء في سيرة ابن هشام * انه عليه أفضل الصلاة و السلام * أصدقها عشرين بكرة سنية * و قيل اثنا عشر أوقية من مذهب و نصف أوقية * و كل هذا لا يعارض ما جاء في خطبة ورقة بن نوفل السابقة من أن الصداق أربعائة درهم إذ يمكن الجمع بينهما بتقويم الثمن بذلك أو أن أحد الاشياء مهر و الاخر هدية من عمه أبي طالب للسيدة خديجة أو

انه صلى الله عليه وسلم زاد ذلك في صداقها على صداق عمه فكان الكل صداقا. * * * وتزوج نبينا الامين * سيدتنا أم المؤمنين * و قد أتم خمسا و عشرين * و أتمت هي الاربعين. قال صاحب قرة الابصار: واذ الى مكة عاد و افتتح ستا و عشرين من العمر نكح خديجة من بعد أربعينا مضت لها من عمرها سنينا وقد نحر صلى الله عليه وسلم جزورا أو جزورين * و قرت بذلك من المحين العين * و انشاحت منهم الصدور * و عم الفرخ و السرور * و طلع سعد السعود * و انكمد الفؤاد المفؤد * و غدا الحسود لا يسود و هو مهموم * و قال أبو طالب: الحمد لله الذي

أذهب عنا الكرب و الغوم * و قال في ذلك الراجز في قوله المنظوم: لا ترهدي خديج في محمد نجم يضي كاضاء الفرقد ولما تزوجت خديجة سيد و لدعدنان * كان قد تزوجها قبله رجلان * و هما هند أبو هالة بن زارة من بني عدي * و عتيق بن عائد بن مخزوم القرشي * و قد اختلفوا في تعيين الثاني من الأول * و ليس في ذلك نص صريح عليه يعول * و قد كان عندها من الذرية * من غير خير البرية * عبد مناف و هند و هما من زوجها عتيق * و قيل ان هندا هذه أسلمت و فازت بالصحبة و التصديق * و ولدت لأبي هالة ولدا * سموه هندا * و هو صحابي جليل ممن شهد بدرأ وأحدا * و قد روى حديثا مشهورا في صفة النبي صلى الله

عليه وسلم * و قتل يوم الجمل مع سيدنا علي ذي الوجه المكرم * و ذكر بعضهم أنه مات بالبصرة في الطاعون * و كان قد مات في ذلك اليوم سبعون ألفا كلهم مسلمون * فشغل الناس بجنازتهم و تركت جنازته * ولم يوجد من يحملها فصاحت نادبته: و ا هند ابن هنداه * و ا ريب رسول الله * فلم تبقي جنازة الا و تركت * و أما جنازته فحملت * و ازدحم عليها الناس فامتلائت بهم المواضع * و ما حملت الا على اطراف الاصابع * و قال بعضهم ان الذي مات في الطاعون ابن هذا المذكور * و يسمى بهند ايضا و الخلاف في ذلك مشهور * و كان فصيحاً بليغاً و صافاً محسناً * وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مجيداً متقناً * و كان يقول: انا أكرم الناس أبواً و أما * و أخا و أختاً * ابى

رسول الله * و أمي التي عنها رضى الله و أخى القاسم عليه السلام * و أختي فاطمة عليها الرحمة و الأكرام * و لحديجة من أبي هالة ابنان غير هذا المذكور * أحدهما الطاهر و الآخر هالة و الأول غير مشهور. * * * قد كان لها رضى الله عنها مواقف مع زوجها مشكورة * فلا تذكر قصة الوحي و البعثة الا و هي معها مذكورة * و سنذكر مسألة الوحي من أولها * لنعرف مقدار هذه السيدة و فضلها. فاعلم ان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة التي تفضل بها عليه مولاه * انه كان لا يمر بشجر و لا حجر الا قال: السلام عليك يا رسول الله * و غير ذلك من الارهاصات التي اشهرها الرؤيا الصادقة * فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا في نومه الا و كانت

لا محالة واقعة * و حبب الله إليه الخلوة * فلم يكن شئ احب إليه من ان يخلو وحده * فكان يجاور من كل سنة شهرا في حراء * مشغلا بالعبادة و التفكير في ملكوت الارض و السماء * و كان إذا خرج الى حراء تتكفل خديجة بكل حاجاته * و تحقق له كافة رغباته * و تهئ له الطعام و الشراب * و تيسر له ما تستطيع من الاسباب * فينقطع لمقصوده * و يقبل على معبوده * و هو مرتاح البال * من كل المتعلقات و الاشغال * فإذا طالت غيبته عليها * تركت كل ما لديها * و خرجت تتلمسه في مكانه الذي تعود الذهاب إليه * و قلبها يخفق من شدة خوفها عليه * حتى إذا رآته مستغرقا في وحدته * منجمعا على فكرته * رجعت و لم تكلمه لئلا تقطعه عن خلوته * و تبقى منتظرة موعد عودته * لتعمل جاهدة على ازالة وحشته * و ادخال السرور الى قلبه * و السعادة الى نفسه.

[21]

و لقد كانت خديجة صادقة الفراسة * صائبة النظرة * صافية الفكرة * و كانت على ثقة من ان رجلا كزوجها محمد الامين * يحمل هذه الروح العالية * و النفس السامية * و الفضائل التي ما نقله إليها عبدها * مما سبق ذكره و تقدم نشره * كانت على ثقة من انه سيكون له شأن عظيم * يتحدث عنه المسافر و المقيم * و سيحدث في التاريخ امرا * تهتز له الدنيا عجبا و تيهو و فخرا * فما أجل عينها الصادقة الحنونة * التي ترعاه في حب و تباشر شؤونه * و ما أعظم قلبها العطوف الذي يزوده بالرعاية * و يخفق له فرحا منتظرا يومه الذي تنصب له فيه الراية * و ينشر له مرسوم دار الولاية. * * * و مرت الايام * على هذا النظام * فما اكمل الاربعين على التمام * حتى جاء اليوم الذي

[22]

هيأته القدرة الربانية * لابلأغه الرسالة السماوية * و هو في وحدته التعبدية * بعد ان مهدت من قبل
الاسباب * و تفتحت لذلك الابواب * فأتاه في ذلك المقام * في اليقظة لا في المنام * رسول الملك العلام *
و قال له: اقرأ فقال: ما انا بقارئ و لست من جملة القراء * فأخذه فغطه و ما تركه حتى بلغ غاية الجهد و
العياء * ثم أمره بالقراءة مرة ثانية فامتنع * فأخذه و غطه و ما تركه الا بعد ما كاد يقع * و في الثالثة قال له:
(اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ و ربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم
يعلم) فما اعظمها من بشارة اوصلتها يد الاحسان * من حضرة الامتنان * الى هذا الانسان * و ايدها
ببشارة (الرحمن * علم القرآن خلق الانسان، علمه البيان) و لاشك انه صلى الله عليه وسلم هو المقصود،
بهذا التعليم * من حضرة الرحمن الرحيم * فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجته *

[23]

بعد ان شهد مشهد كرامته * و فؤاده يرجف من هول ما رآه * و شدة ما سمعه و قرأه * و لقد كاد ينخلع
لولا تثبيت مولاه * و قال: زملوني زملوني فزملته * فلما ذهب عنه الروح و حدثها * قال لها: لقد خشيت
على نفسي * فداه أبى و أمي و نفسي * فقالت: كلا. و الله لا يخزيك الله أبدا و * ان الله سيكتب لك عزا
و مجدا و سؤددا * فرحمك موصولة * و يدك لضيفك مبذولة * تحمل الكل و تكسب المعدوم * و تقرى
الضيف و تعين على نوائب الحق كل مكلوم * و اثبت يا ابن العم فلك البشرى * فهو الله لقد كنت اعلم ان
الله لا يفعل بك الا خيرا * و انى اشهد انك نبي هذه الامة المنتظر * و هذا زمانك ان شاء الله قد حضر
* و قد أخبرني ناصح غلامي و بحيرى الراهب بخبرك المبين * و أمرنى ان اتزوجك قبل عشرين من السنين.

* * *

ثم انطلقت به الى ورقة بن نوفل و اخبرته بالتفصيل * فقال لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حدثني بفمك ايها السيد النبيل * فأخذ يحدثه بما رآه و سمعه من سيدنا جبريل * فقال ورقة: هذا و الله الناموس الجليل *الذي كان ينزل على موسى رسول بني اسرائيل * يا ليتني أكون حاضرا * و مؤيدا لدعوتك و ناصرا * و في رواية ان السيدة خديجة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أول أمره * إذا جاء صاحبك بالوحي فأخبرني بخبره * فلما جاءه أخبرها فقالت: اجلس على شقي اليمين فجلس فقالت: اتراه الان قال: نعم. قالت: فتحول فاجلس في جبري فتحول فجلس في حجرها فقالت: هل تراه الان قال: نعم فرفعت خمارها عن رأسها و قالت: هل تراه الان قال: لا فقال: ما هذا بشيطان * هذا ملك من ملائكة الرحمن.

و أتاه في بيتها جبرئيل * و لذي اللب في الامور ارتياء * فأماطت عنها الخمار لتدرى * أهو الوحي أم هو الاغواء * فاختنفى عند كشفها الرأس جبريل * فما عاد أو أعيد الغطاء * و كانت تفعل ذلك احتياطا لدينها، و زيادة في يقينها * اما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان واثقا بذلك الخطاب * دون شك أو تردد و ارتياب. * * * و في تلك اللحظة الكريمة * سعدت الدنيا بالرسالة العظيمة * و من ذلك الجبل المشهود * في ذلك اليوم الموعود * طلعت شمس الوجود * فأفاضت نورا جديدا * و استقبل العالم صباحا سعيدا * لقد كان هذا العالم يستقبل كل يوم صباحا * و لكنه لا يرى فيه للامة خيرا و لا فلاحا * و ما أكثر

النهار المظلم * و الصبح الكاذب المعتم * لكن من هذا المكان المتواضع * و على ذلك الجبل الراسخ * الذي
ليس بمخصب ولا شامخ * ثم ما لم يتم في عواصم العالم الكبيرة بمدنياته و حضاراته الشهيرة * و مدارسه
الفخمة * و مكتباته الضخمة * إذ من الله على هذه الامة * برسالة محمد الذي كشف عنها الغمة * و جلى
الظلمة * فطلع الصبح المشرق الصادق * و استيقظ فيه الكون بعد ان كان في غفلته غارق * و تعرف على
المفتاح النبوى * الذي يفتح كل عقل ملتوى * فظهرت له شناعة الشرك و الوثنية * و الخرافات و الاوهام
الجاهلية * فتهذبت تلك القوى الجامحة كل التهذيب * و انصقلت تلك المواهب الضائعة بهدى الحبيب * و
تقلبت بين مقامي الترغيب و التهيب * فتدفت كالسيل و اشتعلت كاللهيب * حتى كان راعي الابل
راعى الامم * و خليفة يحكم العالم و إليه يحتكم * و اصبح فارس

[27]

القبيلة و البلد * فاتح الدول ذات المجد و العدد * فكثر العدل و انتشر النور * و قل الجدل و فقدت شهادة
الزور * و تبدلت الأحوال * الى احسن حال * فالتاجر أمين صدوق * و الغني سخي مرزوق * و الفقير
شريف كادح * و العامل مجتهد ناصح * و الرئيس متواضع رحيم * و الخازن حفيظ عليم و القاضي عادل فهم
* فظهر في ذلك المجتمع صدق التاجر و امانته * و تعفف الفقير و كدحه * و اجتهد العامل و نصحه * و
سخاوة الغنى و مواساته * و عدل القاضى و حكمته * و اخلاص الوالى و شففته * و تواضع الرئيس و رحمته
* و قوة الخادم و حراسته * فكانت تلك البعثة للعالم ربعا * و للانسانية خصبا و ربعا. * * * و قد اختص
الله هذه الجوهرة المصونة*

[28]

و الدرة المكنونة * بمزايا عديدة و خصال حميدة. فمنها انها هي التي طلبته * و الى الزواج بها دعته * و انها أول امرأة يتزوجها * و ولجتها أول وليمة يصنعها * و عاشت معه بقية عمرها * و لم يتزوج بغيرها * حتى ماتت بعد أن رأى خالص برها * و دفنها بمكة و نزل هو بنفسه في قبرها * و قد عاشته اربعاً و عشرين سنة احسن عشرة * و رافقته أفضل رفقة * و آلفته اعظم ألفة * و صادقته أوفي محبة * و كانت لا ترى منه ميلاً الى شئ الا بادرت به إليه * و قدمته هدية بين يديه. و قد رأت منه قبل البعثة النبوية * رغبة في مولاه زيد بن حارثة قوية * فما كان منها الا أن وهبته له بنفس راضية سخية، فكان الى حضرته من المنسوين، و كتب في ديوان المسعودين * و فاز بالاولوية مع السابقين * و تشرف بمحبوبة سيد المرسلين.

[29]

و من خصائصها التي نالت بها أعلى مراتب الشرف و الكمال * انها أول من آمن به من النساء و الرجال * فصدقته و آزرته * و أعانته و ثبتته، و خفف الله بسبب إيمانها عن نبيه صلى الله عليه وسلم كل هم، و فرج عنه ما أصابه في الدعوة من تعب و نكد و غم * فكان لا يسمع شيئاً من زمرة الاحاد * من تكذيب و جحود و عناد * و يرجع الى خديجة الا و يجد عندها كل هدى و سداد * فتهون عليه الرزايا و تواسيه * و تبعث الطمأنينة الى نفسه و تسليه * و تمنحه العطف و تبشره بما سوف تراه فيه * و تشجعه و تؤيده و بكل خير تمنيه. * * * و قد ثبت انها رضى الله عنها صلت معه عليه الصلاة و السلام * و تشرفت بمنقبة الوضوء و استقبال البيت الحرام * * * .

[30]

وكان جبريل قد علم النبي صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة * قبل أن تفرض الخمس الصلوات ليلة المناجاة *
وكان يصلى صلاتين مرة في العشية و مرة في الغداة. * * * و قد روى عن يحيى بن عفيف انه قال: جئت
زمن الجاهلية الى مكة فقدمت منى أيام الحج و نزلت على العباس بن عبد المطلب فلما طلعت الشمس
خرج رجل من خباء قريب منا * فاستقبل الكعبة و قام يصلى * فلم يلبث حتى جاء علام فقام عن يمينه *
فلم يلبث حتى جاءت فقامت خلفها * فركع الرجل * فركع الغلام و المرأة * فرفع، فرفعاً فسجد فسجدا
فقلت: يا عباس أمر عظيم * فقال: أمر عظيم * أتدرى من هذا ؟ قلت: لا * فقال: هذا محمد بن عبد الله
ابن أخى * أتدري من الغلام ؟ قلت: لا. قال: هذا علي بن أبى طالب * أتدري من هذه المرأة ؟ قلت:

[31]

لا. فقال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخى. و هذا حدثني ان ربك رب السماء و الأرض أمرهم بهذا
الذى تراهم عليه و ايم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة * قال
عفيف الراوى: فليتنى كنت آمنت يؤمئذ فكنت أكون ثانياً * * * و من خصائصها عليها الرحمة و الاكرام *
أنها أفضل نساء المصطفى بالتمام * كما جاء في الحديث عن سيد الأنام * انه قال: (سيدة نساء العالمين مريم
ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون) و في رواية عن أنس مرفوعة: (حسبك من نساء العالمين مريم
بنت عمران و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و آسية). و هو حديث ثابت بلا مرأى * و قد حكم
بصحته أجلة العلماء (1).

(1) أخرجه أحمد و الترمذي و صححه.

و في رواية صحيحة ثابتة لا يشك فيها اثنان * انه صلى الله عليه وسلم قال: (خير نساءها مريم و خير نساءها خديجة) و قد روى هذا الشيخان. و الأحاديث في هذا الباب كثيرة * و هي معروفة في أصول كتب أهل السنة الشهيرة * و كلها متفقة في مجموعها ييقن * على أن مريم و خديجة و فاطمة و آسية هن أفضل نساء العالمين * رضى الله تعالى عنهن أجمعين * و الخلاف بين العلماء في تعيين أولاهن * و الموازنة في الافضلية بينهما * و قد اجتهد بعضهم في تعيين واحدة * و تكلف التأويل و الجمع و لا أرى في ذلك فائدة. * * * و من خصائصها الشريفة * و مناقبها المنيفة * أن كل أولاده عليه السلام منها * الا سيدنا ابراهيم عليه السلام فلم يتكون

عنها * بل عن مارية القبطية * التي أهداها له مقوقس مصر و الاسكندرية * و قد ولدت لخير البرية * ستة من الذرية. الأول: القاسم، و هو أكبر الاولاد * و به كان صلى الله عليه يتكنى بين العباد * و هو أول من مات من ولده * و دفن في بعض الأقوال بمكة بلده و الثاني عبد الله و يقال له الطاهر و الطيب لأنه ولد في الاسلام * و مات صغيرا بالبلد الحرام. و الثالثة زينب و هي أكبر بناته و قد ولدت قبل بعثته * و تزوجها أبو العاص بن الربيع و كان اسلامها و هجرتها قبل اسلامه و هجرته * و توفيت في أول عام ثمانية من هجرة المصطفى * و دفنت في جنة البقيع و قبرها هناك لا يخفى. و الرابعة رقية و الخامسة أم كلثوم * و قد

كانتا تحت أبي لهب * الشقي المحروم * فلما نزلت تبت يدا أبي لهب * غضب أبوهما أشد الغضب * و قال
لولديه: رأسي من رأسكما حرام * ان لم تفارقا ابنتي محمد صاحب هذا الكلام * يقصد بذلك ايذاءه عليه
الصلاة و السلام * ففارقاهما قبل الدخول عليهما * و لم يصلا بفضل الله اليهما. و قد تزوجت رقية بسيدنا
عثمان بن عفان * و هاجرت معه الى الحبشة فرارا بالايمن * ثم رجعت و هاجرت معه الى مدينة الشفيع *
و ماتت عنده و دفنت في جنة البقيع * ثم تزوج بعدها أختها و هي أم كلثوم * و ماتت عنده أيضا و قبرها
في البقيع معلوم * فيكون قد تزوج من بنات النبي اثنتين * و لذلك اشتهر بين الانام بندي النورين * و لو
كانت هناك ثلاثة لمن بها عليه سيد الكونين.

[35]

و السادسة فاطمة الغراء * المعروفة بالبتول و الزهراء. أم الحسن و الحسين أهل الرضا * و زوج الامام
علي المرتضى * الذي أحسن عشرتها و أخلص لها حبا * و لم يتزوج عليها حتى قضت عنده نحبها * و كانت
و فاتها سنة احدى عشرة من الهجرة النبوية * بعد أن عمرت ثلاثين سنة قمرية * و دفنت بالبقيع على أصح
الاقوال المروية * و قيل دفنت ببيتها الذي بجانب الحجرة النبوية * و هو في المسجد الآن و ليس في ذلك
رواية مرضية * و بهذا تعلم أن بناته دخلن في الاسلام * و هاجرن معه الى المدينة من البلد الحرام. فهؤلاء
جملة أولاده منها رضى الله عنهم أجمعين * و حشرنا في زميرهم مع رسول رب العالمين * آمين * * * .

[36]

و من فضائلها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينسى أبداً ودها * و يحفظ في أهلها عهدا * فيبعث لهم بما يأتيه من الهدايا * و لا يتركهم إذا قسم بين أصحابه العطايا. و قد يذبح الشاة بنفسه ثم يقطع أعضائها * و يخص بها أصدقاءها و أقرباءها: فإذا غارت السيدة عائشة و لم يتحمل ذلك قلبها * قال لها صلى الله عليه وسلم * (لقد رزقت حبها * فأنا أحب من يحبها). و من فضائلها المروية عن أئمة المحدثين الكبار * في كثير من كتب السنن و السير و الآثار * انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر من ذكرها * و ينشر بين الجميع طيب خبرها و حسن برها * و يثنى عليها أحسن الثناء * و يستغفر لها الله و يكثر لها من الدعاء * و يتحدث عن ما لها من الشرف و الفضل و الكمال * و يسترسل في ذلك الحديث دون

[37]

ملل و لو طال * فإذا سمعته السيدة عائشة يتحدث عنها * غارت أشد الغيرة منها * و قالت: ما هي إلا حمراء الشدين عجوزا كبيرة * وقد عوضك الله خيرا منها شابة صغيرة * فكان يغضب من قولها * و يخصمها على فعلها * و يقول: (ما أبدلني الله خيرا منها لقد آمنت بي إذ كفر الناس و صدقتني إذ كذبني الناس و آوتني إذ رفضني الناس و واستني إذ حرمني الناس ورزقني أولادها إذ حرمني أولاد النساء (1). و قد جاء في بعض الآثار المروية * عن السيدة عائشة الصديقية * انها قالت: (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خديجة باهتمام * فاحتملني الفيرة و قلت

(1) أصله في الصحيحين، و له روايات كثيرة عند أحمد و أبو حاتم و الدلاوي و الطبري و غيرهم

[38]

فيها ما لا ينبغي من الكلام * فتغير وجهه تغيرا ما كنت أراه الا عند نزول الوحي عليه * و سقطت في
جلدى و ندمت على اساءتي بذلك إليه * و قلت: اللهم ان أذهبت غيظ رسولك الآن * لم أعد أذكرها
بسوء ما بقيت مدى الازمان * فلما رأى ذلك منى * عذرني و سألني و عفا عني * و ذكر لى طرفا من
فضائلها الغراء * و بهذا تعلم أن غيرتها لا عن بغض أو عدا * و انما هي طبيعة معروفة في النساء * و
عائشة هي التي نقلت لنا في فضل خديجة ذلك الخبر * و لولاها ما كنا وقفنا له على عين و لا أثر. * * * و
من فضائلها عليها الرحمة و الاكرام * ان رب العزة أرسل بها مع جبريل السلام * فقال: يا محمد هذه خديجة
قد أتتك باناء فيه ادام و طعام * فإذا هي أتتك فاقراً عليها

[39]

من ربا و منى السلام * فلما بلغها قالت: الله السلام و منه السلام و على جبريل السلام و قد ثبت ذلك
عن الشيخين * في كتابيها المعروفين بالصحيحين. و من خصائصها رضى الله عنها ما رواه الشيخان * ان
جبريل بشرها بيت في الجنان * إذ قال ذلك الملك المكرم * للنبي صلى الله عليه وسلم بشر خديجة بيت
في الجنة من قصب (1) لا صخب (2) فيه و لا نصب (3). و من فضائلها رضى الله عنها الغراء * انها
وقفت مع النبي صلى الله عليه وسلم في السراء و الضراء * ولم ترض أن تتركه لما قاطعه في الشعب
الأعداء، فخرجت عن بيتها الرفيع * و مقامها المنيع * و دخلت معه الشعب فكانت من جملة المحصورين * و
لم تبال بسنها الذى زاد على الستين * رغبة في متابعة سيد المرسلين *

(1) لؤلؤ مجوف. (2) لا صياح. (3) التعب.

فاستبدلت حياة العز و الرفاهية * بتلك الحياة الخشنة القاسية * وكم ذاقتم معهم مرارة العطش و الجوع *
 إذ كان الطعام و الشراب عن الجميع ممنوع * فيحق للتاريخ أن يحني رأسه أمام جلالها * و يتوج صحائفه
 بكريم فعالها. و الحاصل أن فضائلها لا تعد * و مناقبها لا تحدد * و ما عسى أن يقال فيمن وصفها سيد ولد
 عدنان * و أشاد بذكرها على رؤوس الاعيان * و رفع شأنها بين النساء على كل شأن * و ذكر فضلها و
 شرفها الثابت بالتحقيق * و شكر لها مواقفها معه في الايمان و التصديق. فما أعظم أخلاقها القويمه * و
 سيرتها المستقيمة * النى هي عين أوصاف المؤمن الكريم * كما أخبر عنها الرسول العظيم * عليه أفضل الصلاة
 و أتم التسليم * إذ قال:

(ان المؤمن تراه * قوة في دين * و حزمًا في لين * و ايمانًا في يقين * و حرصًا في علم * و علما في حلم * و
 شفقة في محبة * و برا في استقامة * و قصدا في غنى * و تجملا * في فاقه * و تخرجًا عن طمع * و كسبا
 في حلال * و نشاطًا في هدى * و نهيا عن شهوة * و رحمة للمجهود * ان المؤمن لا يظلم من يبغض * و لا
 يأثم فيمن يحب * و لا يضيع ما استودع * و لا يحسد و لا يطعن * في الزلازل وقورا * و في الرخاء
 شكورا) فكان هذه الاوصاف و الاخلاق * منطبقة على السيدة خديجة تمام الانطباق. * * * وفاتها و لما
 تمت لها الكمالات الباهرة * و توطنت الرتبة السامية العلية الفاخرة * و امتدت أنوارها و آياتها لمتكاثرة *
 توفيت رضى الله

عنها في اليوم الحادى عشر من رمضان * قبل هجرة سيد ولد عدنان * بثلاث سنين على الأصح من
الاقاويل * و قيل بأربع و قيل بسبع على ما قيل * و لم يصل عليها عليه الصلاة و السلام * لأنها لم تشرع
الصلاة على الميت في ذلك العام * و نزل النبي صلى الله عليه وسلم في قبرها * و سوى عليها التراب
وأحسن نزلها * و هي فضيلة لها دون غيرها من أمهات المؤمنين، رضى الله تعالى عنهن أجمعين الى يوم الدين
* و كان لها من العمر خمس و ستون * و دفنت بمقبرة المعلى المعروفة بالحجون * و هذا و ان كان قد ثبت
بطريق الاحاد * الا أنه اشتهر كل الاشتهار بين كافة العباد * * * .

[43]

دعاء و حيث تشرفت الاسماع بذكر أخبارها * و بيان فضائلها و نشر آثارها حسن منا أن نختم ذلك بالدعاء
* متوجحين الى الله رب العالمين قاصدين مخلصين قائلين: الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على
أشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين. اللهم أنت أحق من ذكر * و أحق من عبد و أرأف
من ملك و أجود من سئل و أوسع من أعطى أنت الملك لا شريك لك و الفرد لا ند لك، كل شئ هالك
الا وجمك لا تطاع الا باذنك و لن تعصى الا بعلمك تطاع فتشكر و تعصى فتغفر أقرب شهيد و أدنى
حفيظ حلت دون النفوس و أخذت بالنواصى و كتبت

[44]

الآثار و نسخت الآجال القلوب لك مفضية و السر عند علانية الحلال ما أحلت و الحرام ما حرمت و
الدين ما شرعت و الامر ما قضيت و الخلق خلقك و العبد عبدك و أنت الله الغفور الرحيم نسألك بنور

وجهك الكريم، الذى أشرقت له السموات والأرض وكل حق هو لك و بحق السائلين عليك أن تقللنا و
تجيرنا من النار بقدرتك يا أرحم الراحمين. اللهم نحمدك على ما هديت و نشكرك على جزيل ما أسديت و
نستعينك على رعاية ما أسبغت من النعم و نستهديك الشكر على ما كفيت من النقم و نعوذ بك من
عثرات اللسان و غفلات الجنان و من غدرات الزمان و نسألك اللطف فيما قضيت و قدرت و المعونة على
ما أمضيت و نستغفرك من قول يعقبه الندم أو فعل تزل به القدم فأنت الثقة لمن توكل عليك و العصمة لمن
فوض أمره اليك

[45]

وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد ربنا عليك توكلنا و اليك أنبنا و إليك المصير. اللهم افتح مسامع
قلوبنا لذكرك و ارزقنا طاعتك و طاعة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و عملا بكتابك و اتباعا لسنة
نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم اجعلنا نخشاك و كأننا نراك أبدا حتى نلقاك و أسعدنا بتقواك و
لا تشقنا بمعصيتك. اللهم انا نسألك الهدى و التقى و العفاف و الغنى و حسن الظن و حسن الخلق. اللهم
اغتنا بحلالك عن حرامك و بطاعتك عن معصيتك و بفضلك عمن سواك. اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء
و درك الشقاء، و سوء القضاء و شتاة الاعداء و عضال الداء، و خيبة الرجاء. اللهم طهر قلوبنا من النفاق
و أعمالنا من الرياء، و ألسنتنا من الكذب و أعيننا من الخيانة

[46]

انك تعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصدور. اللهم جمل أمورنا ما أحييتنا و عافنا ما أبقيتنا و بارك لنا فيما خولتنا و احفظ علينا ما أوليتنا و ارحمنا إذا توفيتنا و ساعحننا إذا حاسبتنا، و لا تسلبنا الايمان و قد هديتنا. اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا و تجمع بها شملنا و تلم بها شعنا و ترد بها الفتن عنا و تصلح بها حالنا و تحفظ بها غائبنا و ترفع بها شاهدنا و تبيض بها وجوهنا و تزكى بها أعمالنا و تلهمنا بها رشدنا و تعصمنا من كل سوء. اللهم اعطنا ايمانا صادقا و يقينا ليس بعده كفر و رحمة ننال بها شرف كرامتك. اللهم انا نسألك الفوز عند القضاء و نزل الشهداء و مرافقة الانبياء و النصر على الاعداء. اللهم خذ بأيدينا في المضائق و اكشف لنا وجوه الحقائق و وفقنا لما تحب و ترضى

[47]

و اعصمنا من الزلل و لا تسلبنا ستر احسانك و قنا مصارع السوء و اكفنا كيد الخائنين و شاة الاضداد و الطف بنا في سائر تصرفاتنا و اكفنا من جميع جهاتنا يا أرحم الراحمين. اللهم اعطنا من الدنيا ما تقينا به فتنها و تغينا به عن أهلها و يكون بلاغا لنا الى ما هو خير منها فانه لا حول و لا قوة الا بك. اللهم انا نسألك نعمة تامة و رحمة شاملة و عافية دائمة و عيشا رغيدا و عمرا سعيدا و احسانا تاما و انعاما عاما و عملا صالحا و علما نافعا و رزقا واسعا. اللهم كن لنا و لا تكن علينا و اختم بالسعادة آجالنا و حقق بالزيادة أعمالنا و اقرن بالعافية غدونا و آصالنا و اجعل لى رحمتك مصيرنا و مالنا و اصعب سجال عفوك على ذنوبنا و من علينا باصلاح أعمالنا واستر عيوبنا و اجعل

[48]

التقوى زادنا و في دينك اجتهدنا و عليك توكلنا واعتمادنا. اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة و أعذنا من موجبات الندامة يوم القيامة و خفف عنا ثقل الاوزار و ارزقنا عيشة الابرار و اكفنا و اصرف عنا شر الاشرار واعتق رقابنا و رقاب آبائنا وأمهاتنا من النار يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار يا حلیم يا جبار برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم كما مننت على السيدة خديجة بتمام التصديق و الايمان بنبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فمن علينا بذلك يا قديم الاحسان و كما تفضلت عليها بتعظيم حرمة و حفظ عهده و ذمته و نصر حزيه و دعوته و متابعة سبيله و سنته و تأييد كلمته و حجته فتفضل علينا بذلك و اكتب لنا من ذلك الحظ الأوفر و النصيب الأكبر و وفقنا للاستمسك بسنته و لزوم ملته حتى نموت عليها

[49]

و احشرنا في زمرة و تحت لوائه و اجعلنا من رفقاءه و أوردنا حوضه و اسقنا بكأسه و انقنا بمحبته و تب علينا و احفظنا من جميع البلاء و البلواء والفتن ما ظهر منها و ما بطن و اغفر لنا و لجميع المؤمنين والمؤمنات و المسلمين و المسلمات الاحياء منهم و الاموات. و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم. و لما رأى هذه الرسالة بعض مشائخنا من كبار العلماء المدرسين بالمسجد الحرام قال: أيا مهدى البشرى سعدت لك البشرى * بنيل الرضا من تلكم الجدة الكبرى * و دمت قرير العين فيمن تحبه * تفوز بما ترجو بدنياك و الاخرى.